

التفسير الكبير

للفخر الرازي

بقلم الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

فكان لبيئة الفخر العلمية واستعداده الفطري الأثر في حياته العلمية المباركة التي أينعت ثمرات طيبات في رياض العلم ومجالاته لقد بدأ امامنا الفخر الرازي حياته العلمية بدراسة علم الفقه والأصول والتفسير على والده ضياء الدين • ثم قصد السمعاني واختلف اليه مدة ثم عاد الى الري فدرس الطب ونبغ في الأدب ونظم الشعر الديني بالعربية والفارسية واتجهت همته العالية الى التعمق في الدين ودراسة قضايا التصوف متحلياً بمكارم الأخلاق العملية سلوكاً ومعرفة •

كما اهتم باشتغاله بالعلوم العقلية ودراسة مذهب المتكلمين والفلاسفة فتلقى على مجد الدين الجيلي ولما رحل المجد الجيلي الى مراغة ليدرّس بها صحبه فخر الدين وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة .

وفي أخبار الحكماء أنه « وقف على تصانيف أبي علي بن سينا والفارابي وعلم من ذلك علماً كثيراً »

مؤلف مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير هو شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الرازي المولد الملقب بفخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي (١)

ولد بمدينة الري سنة أربع وأربعين وخمسائة هجرية في الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم .
نشأته وحياته العلمية :

وامامنا الفخر الرازي نشأ في بيئة علمية أدبية فوالده الامام ضياء الدين عمر خطيب الري وصاحب الامام البغوي يذكر ابن أبي أصيبعة أن « له تصانيف عدة في الأصول والوعظ وغير ذلك » .

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٦٥ . والدور الكامنة ج ١ ص ٣٠٤ وترجمة فخر الدين الرازي مقدمة اعتقادات المسلمين والمشتريين للفخر الرازي بمراجعة وتحريير الدكتور على سامي النشار .

وفى وفيات الأعيان أنه « فاق أهل زمانه
فى علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل .

وامامنا الفخر الرازى • كان متحمسا
ومدافعا عن مذهب أهل السنة والجماعة داعيا
اليه على بصيرة من ربه ومستندا الى الادلة القوية
منفدا آراء المخالفين فى أسلوب منطقى رائع
كما يتضح ذلك من تفسيره الكبير مفاتيح الغيب .

ويذكر الذهبى فى كتابه الميزان أن الامام
الرازى — من ضعفاء الرواة — وأن له كتاب
أسرار النجوم فى السحر . غير أن صاحب طبقات
الشافعية ينكر ذلك .

« لأنه ثقة خبر من أخبار الأمة وأنه لا رواية له .
فذكره فى كتب الرواة مجرد فضول وتعصب
وتحایل » أما اشتغاله بالسحر فينكره السبكي
لسببين أن الكتاب مخلق عليه • وبتقدير وفرض
صحة نسبة الكتاب اليه فان الكتاب نفسه ليس
بسحر ويرى السبكي أن الذهبى تعصب على
الأيام .

وقد اشتغل الرازى بالكيمياء ولكنه لم
ينجح كما يذكر القفطى اذ يقول « وعن له أن
اشتغل بعمل الكيمياء وضع فى ذلك مالا كثيرا
ولم يحصل على طائل » •

وقد ورث الفخر عن والده مكانة مرموقة
فى الوعظ والارشاد .

يقول ابن خلكان • كان له فى الوعظ اليد
البيضاء • وكان يعظ باللسانين العربى والعجمى •
وكان يلحقه الوجد فى حال الوعظ ويكثر البكاء
وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة أرباب المذاهب
والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل مسائل

بأحسن اجابة ورجع بسببه خلق كثير من
الطائفة الكرامية وغيرهم الى مذهب أهل السنة
وكان يلقب الرازى بهراة : شيخ الاسلام .

ويذكر صاحب شذرات الذهب « ان
الرازى مات عن ثروة ضخمة منها ثمانون ألف
دينار •

وكان الامام ذا هيئة وجلال عبل البدن
كبير اللحية يتعاطى على الملوك فى عصر كان
سلطان الملوك فيه عظيما يسير وحوله اذا ركب
ثلاثمائة طالب وكانوا أكثر الناس اجلالا له
وتعظيما • فاذا جلس للتدريس أطاف به كبار
تلاميذه أمثال زين الدين الكشى • والقطب
المصرى • وشهاب الدين النيسابورى ثم يليهم
بقية التلاميذ فاذا سال أحد شيئا أجابه كبار
التلاميذ فان استعصى الأمر أجابه الامام نفسه •

وقد وصف الشاعر شرف الدين بن غنين
فى ديوانه الامام الرازى وقوة منطقه ومكاته
العلمية فقال فيه من قصيدة له :

بحر تصدر للعلوم ومن رأي
بحرا تصدر قبله فى محفل
ومشمر فى الله يسحب لللقى ••
والدين سربال الفصال المسبل

ماتت به بدع تمادى عمرها
دهرا وكان ظلالها لا ينجلى

فعلا به الاسلام أرفع هضبة
ورسا سواه فى الحضيض الأسفل

غلط امرؤ بأبى على قاسه
هيئات قصر عن مداه أبو على

ولو ان رسطاليس يسمع لفظة
من لفظة لعنـته هـزة أفـكل

ويحار بطليموس لولا قاه من
برهانه فى كل شكل مشـكل

فلو انهم جمعوا لديه تيقنوا
ان الفضيلة لم تكن للأول

وبه بيت الحليم معتصما اذا
هدت رياح البطش ركنى بابل

يعفو عن الذنب العظيم تكـرما
ويجود مسئولا وان لم يسأل

أرضى الاله بفعله ودفاعه
عن دينه وأقر عين المرسل

ولقد رحل الامام الرازى من الرى الى
خوارزم ليدافع عن مذهب أهل السنة والجماعة
فجادل المعتزلة فأخرج من البلدة فقصد ما وراء
النهر فأخرج أيضا فعاد الى الرى ، وفى شذرات
الذهب أنه سار الى شهاب الدين الغورى سلطان
غزنة فحصلت له منه اموال طائلة ثم اتصل
بالسلطان خوارزم شاه محمود بن تكش وحظى
عنده وبنى وزيره علاء الملك بآبنة فخر الدين
واستقر الامام بخراسان ثم قصد مدينة هـراه
وسار اليها فى أبهة عظيمة وحشم كبير فلما
وصلها تلقاه سلطان المدينة حسين بن خرامين
وأكرمه اكراما عظيما وبسط له سجادة فى صدر
الايوان من الجامع ليجلس عليها ونصب له منبرا
عظيما ليراه الناس ويسمعوا كلامه وكان يجلس
فى صدر الايوان وعن يمينه يمنة ويسرة صفان
من ممالك الترك فكان موضع التقدير من الملوك
والأمراء حتى كان السلطان علاء الدين خوارزم

شاه اذا رغب فى رؤيته أتى الى الفخر فى داره
بنفسه ولا يجشمه أعباء الانتقال اليه وفى هـراه
لقب الرازى بشيخ الاسلام وحضر مجلسه أرباب
المذاهب والمقاتلات يسألونه وهو يجيب وكان بينه
وبين الكرامية أحاديث جدلية عنيفة يتهمهم
بالالحاد ويتهمونه واستمرت العداوة بينهم وبينهم
حتى قيل انهم سموه فى أواخر أيامه • وقد بلغ
تصوفه أوج كماله العلمى حدث له ما حدث
لأبى حامد الغزالى اذ قلت ثقته بالعقل الانسانى
وأحس عجزه وأدرك تماما أنه لا يستطيع
الاحاطة بالوجود فى ذاته فأدركته حالة صوفية
كانت تتأبه منها فى بعض مجالس وعظه نوبات
فيصرخ مستغيثا وحضر بحضرة السلطان شهاب
الدين الغورى وحصلت له حالة فاستغاث
(يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ولا تليسن
الرازى يبقى)

وأشد أشعارا عليها مسحة التصوف

نهاية أقدام العقول عقـال
وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جـسومنا
وحاصل دينانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه فيل وقالوا

وكم قدر رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال فزالوا والجبال جبال
قال ابن الصلاح : أخبرنى القطب الطوغانى

مرتین : أنه سمع فخر الدين الرازی يقول :
يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى •

وروى عنه أنه قال : لقد اختبرت الطرق
الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى
غليلا ، ولا تشفى غليلا ورأيت أصح الطرق
طريقة القرآن اقرأ في التنزيه :

« والله هو الغني وأنتم الفقراء » وقوله
تعالى : « ليس كمثله شيء » و « قل هو الله أحد »
واقرا في الآيات : « الرحمن على العرش استوى »
و « ويخافون ربهم من فوقهم » و « إليه يصعد
الكلم الطيب » •

واقرا في أن الكل من الله قوله : « قل كل
من عند الله » •

ثم قال : وأقول من صميم القلب من داخل
الروح : اني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل
الأعظم الأجل فهو لك ، وكل ما هو عيب ونقص
فأنت منزله عنه (١) .

وصية فخر الدين الرازی :

وعندما مرض الامام وأحسن بدنو أجله
أملى على تلميذه ابراهيم بن أبى بكر الأصفهاني
وصيته وكان ذلك في الحادى والعشرين من
المحرم سنة ست وستمائة ، وتوفى بعد ذلك بعام •
وهذه الوصية كما يقول ابن خلدون :

« تدل على عقيدة حسنة » يقول العبد الراجى
رحمة ربه الوائق بكرم مولاه محمد بن عمر
الحسين الرازی وهو فى آخر عهده بالدنيا واول
عهده بالآخرة وهو الوقت الذى يلين فيه كل

(١) الفخر الرازی ج ١ من التفسير ص ل المطبعة
العربية •

قاس ويتوجه الى مولاه كل أبى • • اعلموا
يا اخوانى فى الدين واخوانى فى طلب اليقين
أن الناس يقولون الانسان اذا مات انقطع تعلقه
عن الخلق وهذا العلم مخصوص من وجهين :
الأول : أنه ان بقى عمل صالح صار ذلك سببا
للدعاء ، والدعاء له أثر عند الله . والثانى .
ما يتعلق بمصالح الأطفال والأولاد والمورثات
وأداء المظالم والجنايات •

(أما الأول) فاعلموا أني كنت رجلا محبا
للعلم ، فكنت أكتب فى كل شيء ، لا اقف كميته
وكيفيته ، سواء كان حقا أو باطلا ، غنا أو سميئا ،
الا أن الذى نظرته فى الكتب المتبعة لى ، أن هذا
العالم المحسوس تحت تدبير مدبره ، منزله عن
مماثلة التميزات والأعراض ، وموصوف بكمال
القدرة والعلم والرحمة ، ولقد اختبرت الطرق
الكلامية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى
وجدتها فى القرآن العظيم ، لأنه يسعى فى تسليم
العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع عن
التعمق فى ايراد المعارضة والمتناقضات وما ذاك
الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل
فى تلك المضائق العميقة والمناهج الخفية •

ولهذا أقول : كلما ثبت بالدلائل الظاهرة
من وجوب وجوده ووحدته وبرأته عن الشركاء
فى القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذاك هو
الذى أقول به وألقى الله تعالى عليه وأما ما انتهى
الأمر فيه الى الدقة والنموض ، فكل ما ورد فى
القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين
الأئمة المتبعين للمعنى الواحد ، فهو كما هو
والذى لم يكن كذلك أقول : يا اله العالمين اني
أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين

وأرحم الراحمين فلك ما مر به قلبي أو خطر
بالي فأستشهد علمك ، وأقول : ان علمت مني
أنني أردت تحقيق باطل أو ابطال حق فافعل بي
ما أنا أهله ، وان علمت مني أنني ما سعت الا في
تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق وتصورت أنه
الصدق فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصل
فذاك جهد المقل فأنت أكرم من أن تضايق
الضعيف الواقع في الزلة ، فاغثنى وارحمنى
واستر زلتى وامح حوبتى يا من لا يزيد ملكه
عرفان العارفين ولا يتقص بخطأ المجرمين •

وأقول : ديني متابعة (سنة) محمد سيد
المرسلين وكتابي هو القرآن العظيم وتعويلي في
طلب الدين عليهما •

اللهم يا سامع الأصوات ، ويا مجيب
الدعوات ، ويا مقيل العثرات ويا راحم العبرات
ويا قيوم المحدثات والممكنات أنا كنت حسن الظن
بك عظيم الرجاء في رحمتك وأنت قلت : « أنا
عند ظن عبدى بى » وأنت قلت « أم من يجيب
المضطر اذا دعاه » وأنت قلت : « واذا سألك عبادى
عنى فانى قريب (فهب أنى ما جئت بشئ فأنت
الغنى الكريم ، وأنا المحتاج اللئيم •

واعلم أنه ليس لى أحد سواك ، ولا أجد
محسنا سواك وأنا معترف بالزلة والقصور ،
والعيب والفتور ، فلا تخيب رجائى ، ولا ترد
دعائى واجعلنى آمنا من عقابك قبل الموت وعند
الموت وبعد الموت وسهل على سكرات الموت
وخفف على نزول الموت ولا تضيق على بسبب
الآلام والأسقام فأنت أرحم الراحمين •

وأما الكتب العلمية التى صنفتها ، أو
استكثرت من ايراد السؤالات على المتقدمين فيها

فمن نظر فى شئ منها فان طابت له تلك السؤالات
فليذكر فى صالح دعائه على سبيل التفضل
والانعام والافليحذف القول السيئ فانى ما أردت
الا تكثير البحث وتشجيع الخاطر والاعتماد فى
الكل على الله تعالى •

وفاته

انتقل الامام فخر الدين الرازى الى جوار
ربه بهراه فى يوم الاثنين أول شوال من سنة ست
وستمائة. كذا قال السبكي وقال القفطى انه توفى
فى ذى الحجة من هذه السنة وقد قيل : انه مات
مسموما وأن الفرق التى كان يناظرها قد دست له
من سقاء السم . قال القفطى : « وكان يطعن على
الكرامية ويبين خطأهم » فقيل : انهم توصلوا الى
اطعامه السم •

مصنفات الرازى :

وأمانا الفخر الرازى من الأفاض المكثرين
فى التأليف وتدلنا كتب الطبقات والتاريخ على
مصنفات عديدة له نجد ذكرها فى عيون الأنباء
فى طبقات الأطباء وطبقات الشافعية ووفيات
الأعيان واوصلها صاحب البداية والنهاية الى
مائتى مصنف ويذكر ابن خلكان والسبكي
أن تصانيف الرازى انتشرت أثناء حياته وبعد
مئاته وتدارسها الناس فى عناية
فائقة وقوبلت فى كل عصر بالتقدير والاجلال
وقد نسقها محرر مقدمة كتابه اعتقادات فرق
المسلمين والمشركن^(١) فله :

فى التفسير :

١ - مفاتيح الغيب فى اثنى عشر مجلدا ضخما •

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركن ص ٢٧ •

٢ - كتاب تفسير الفاتحة وبيان انها تشتمل على آلاف المسائل فى مجلد وهو تفسير سورة الفاتحة الموجود ضمن كتابه التفسير الكبير •

٣ - تفسير سورة البقرة على الوجه العقلى لا النقلى • مجلد •

٤ - رسالة فى التنبيه على بعض الاسرار المودعة فى القرآن •

٥ - تفسير أسماء الله الحسنى •

وفى علم الكلام :

١ - المطالب العالية فى ثلاث مجلدات ولم يتمه

٢ - كتاب نهاية العقول فى دراية الأصول فى مجلدين •

٣ - كتاب الأربعين فى أصول الدين •

٤ - كتاب الخمسين فى أصول الدين بالفارسية

٥ - رسالة فى النبوات • وذكر له فى علم الكلام أربعين مصنفًا •

وفى الحكمة والعلوم الفلسفية :

له ستة وعشرون مصنفًا منها :

كتاب الانارات فى شرح الاشارات ولباب الاشارات •

وكتاب الأخلاق •

وفى العلوم والآداب العربية ستة مصنفات منها :

شرح المفصل فى النحو للزمخشري •

ونهاية الايجاز فى نهاية الاعجاز فى علم البيان •

وله فى الفقه وأصوله خمسة مصنفات .

منها المعالم فى أصول الفقه، وشرح الوجيز فى الفقه للغزالي •

وله فى الطب سبعة مصنفات ، وفى الطلسمات والعلوم الهندسية خمسة مصنفات ، وفى التاريخ كتابان :

١ - كتاب فضائل الصحابة •

٢ - كتاب مناقب الشافعى •

ومن مصنفاته الهامة تتحدث عن كتابين منها .

« اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » •

وهى رسالة لها أهميتها فى تاريخ الفرق تشتمل على أغلب الفرق الاسلامية وكثيرا من فرق اليهود والمجوس والنصارى وبها فصل خاص بأحوال الفلاسفة • وامتازت الرسالة عن غيرها من كتب الفرق بفكر فرق الصوفية ويقول محرر المقدمة بان الرازى هو الوحيد كما قال عن نفسه الذى عدَّ الصوفية فرقة لأن الصوفية تمتاز بشيء فى الأصول تختلف فيه عن بقية الفرق الاسلامية فأهل السنة والجماعة يرون أن الطريق لمعرفة الله هو السمع وفرق المعتزلة وبعض الفرق الأخرى ترى أن ذلك الطريق هو العقل أما الصوفية فترى أن الطريق لمعرفة الله التصفية والتجرد من العلائق البدنية للوصول الى مرتبة الكشف •

ورسالة الرازى تمتاز بالوضوح مع

الاختصار الدقيق فلم يعتمد الامام الى التطويل بذكر الدقائق والتفاصيل ومما يميز الرازى فى

رسالته هذه أنه لم يكن الا مؤرخا فقط فلم يناقش ولم يجادل ولم يعرض للتشنيع على المخالفين كما فعل غيره من مؤرخي الفرق •

اعتمد الرازى فى رسالته طريقة منطقية من غير اغفال للمنهج التاريخى • فهو يقسم الرسالة الى عشرة أبواب • ويقسم ثلاثة أبواب الى فصول :

فالباي يشمل فرقة كبيرة من كبار الفرق تمتاز عن غيرها من الفرق بقاعدة أو قواعد فى الأصول ، والفرقة الكبيرة تشمل عددا من الفرق الصغيرة يعمها بعض القواعد العامة وتختلف فى الجزئيات فجاءت الرسالة فى عشرة أبواب . غير أنه يذكر الباب الخامس بعد الثالث مباشرة •

والباب الأول ينقسم الى ثلاث فصول وفى الباب الثالث فصل والباب العاشر ينقسم الى ستة فصول أما سائر الأبواب فليس فيها فصول وقد حاول الرازى جهده أن يراعى عند ذكره للفرق منهجا تاريخيا فالفرقة التالية تتبع سابقتها تاريخيا أو تعاصرها أو أن صاحب الفرقة المتأخرة تتلمذ لصاحب الفرقة السابقة عنها ثم وافقه فى أشياء وخالفه فى أشياء ويقرر المرحوم شيخ الاسلام الشيخ مصطفى عبد الرازق فى بحث ألقاه فى مؤتمر تاريخ الأديان بليبيا سنة ١٩٣٢ ميلادية بعنوان :

« التصوف والفرق الاسلامية » فبعد أن ذكر المؤلفين للفرق سجل مفخرة للفخر الرازى بأنه بكتابه :

« اعتقادات فرق المسلمين والمشرىين » قد جبر النقص الذى لم يلاحظه غيره فعد فرقة التصوف مميزة بمذهب فرقة مستقلة •

(١) « ولم يعن أولئك المؤلفون بتمييز مذهب الصوفية باعتباره مذهب فرقة مستقلة وبتبيين فرقهم الفرعية بعد ذلك وهذا النقص لا حظ له فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ستمائه وست هجرية •• أفرد فخر الدين الرازى فى هذا الكتاب بابا خاصا للصوفية ننقله فيما يلى معتمدين على نسخة مكتبة تيمور باشا وعلى نسخة مكتبة بريل التى هى فى القالب أصح وأسلم من الخطأ :

« الباب الثامن فى أحوال الصوفية - اعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق الى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن وهم فرق :

الأولى : أصحاب العادات - وهم قوم منتهى أمرهم وغايتهم تزيين الظاهر كلبس الخرقه وتسوية السجادة

الثانية : أصحاب العبادات - وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال

الثالثة : أصحاب الحقيقة - وهم قوم اذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية : وهم يجتهدون ألا يخلو سرهم وبألهم عن ذكر الله وهؤلاء خير فوق الآدميين

الرابعة : النورية - وهم طائفة يقولون ان الحجاب حجابان : نورى ، ونارى ، أما النورى فالاشتغال باكتساب الصفات المحموده كالتوكل والشوق والتسليم والمراقبة

(١) مقدمة اعتقادات فرق المسلمين والمشرىين
نشر مكتبة النهضة المصرية •

الاسلام الرئيسى أبى على الحسين بن عبد الله
ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ .

يقول الرازى فى أوله : هذا كتاب الاشارات
هذبه بالتماس بعض السادات والتكلان على رب
الأرض والسموات ، وبدأه بالمنهج الأول فى
التركيب النظرى اشارة الفكر ترتيب أمور معنومة
ليتأدى منها الى أن يصير المجهول معلوما وذلك
الترتيب قد يكون صوابا • وقد لا يكون والتمييز
بينهما ليس بيدهى فلا بد من قانون يفيد ذلك
وهو المنطق • وبعد أن انتهى من المنطق •

أفرد قسما للقول فى الطبيعيات والالهييات
وقسمه الى عشرة انماط القسم التاسع^(١) منها فى
مقامات العارفين والعاشر فى أسرار الآيات^(٢)

ويقول فى التبيه الأول فى مقامات العارفين
المعرض عن متاع الدنيا هو الزاهد والمواظب
على العبادات هو العابد والمتصرف بفكره الى قدس
الجبروت مستديما لشروق نور الحق فى سره هو
العارف وقد يتركب بعض هذا مع بعض •

« تبيه » الزهد عند غير العارف معاملة ما
كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة وعند العارف
تنزه ما عما يشغل سره عن الحق والعبادة عند غير
العارف معاملة ما كأنه يعمل فى الدنيا لأجرة
يأخذها فى الأخرى وعند العارف رياضة ما لهما
وقوى نفسه المتشوهة والمنخيلة
ليجرها بالتعويد عن جناب الغرور الى
جناب الحق فتصير مسالمة للسر الباطن حين ما
يتجلى له الحق لا ينازعه فيخلص السر الى الشروق
الساطع ويصير ذلك ملكة مستقرة كلما شاء السر

والأنس والوحدة والحالة ، وأما النارى
فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص
والأمل لأن هذه صفات نارية كما أن ابليس لما
كان ناريا فلا جرم وقع فى الحسد •

الخامسة : الحلوية - وهم طائفة من هؤلاء
القوم الذين ذكرناهم يرون فى أنفسهم أحوالا
عجيبه ، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر
فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد
فيدعون دعاوى عظيمة

وأول من أظهر هذه المقالة فى الاسلام
الروافض فانهم ادعوا الحلول فى حق أئمتهم •

السادس : المباحية - وهم قوم يحفظون طاعات
لا أصل لها وتليسات فى الحقيقة وهم يدعون
محبة الله تعالى وليس لهم نصيب فى شيء ومن
انحطاق . بل يخافون الشريعة ، ويقولون :
ان الحبيب رفع عفا التكليف وهؤلاء سر الطوائف
وهم على الحقيقة على دين مزدك •

وعندى أن هذا الفصل الذى نقلته كاملا من
كتاب الفخر الرازى عظيم الشأن من وجهين :

أما أو لهما : فهو أنه فيما نعلم قد فى محاولته
التعريف بالمذهب الصوفى فى جملته باعتباره
مذهب فرقة من الفرق الاسلاميه الأصلية

وأما ثانيهما : فهو أنه أيضا قد فى محاولته
حصر الفرق الفرعية لهذه الفرقة الأصلية »

كتاب لباب الاشارات للفخر الرازى

والكتاب فى الفلسفة ويدل على فهم رشيد
فى أدق المسائل الفلسفية

هذب فيه الرازى كتاب الاشارات لفيلسوف

(١ ، ٢) كتاب لباب الاشارات للفخر الرازى ص ١٣١
طبع مطبعة السعادة بمصر •

اطلع الى نور الحق غير مزاحم من الهمم بل مع
تسجيع منها له فيكون بكلية منخرطاً في سلك
القدس .

مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير

أما التفسير الكبير فهو أهم آثار ومصنفات
الامام الفخر الرازي يدل بحق على أن الفخر
الرازي طلعة يحيط بأفانين العلوم وبه وصل الفخر
الرازي الى قمة المجد وحظى في عالم التفسير
بشهرة واسعة فكتابه : مفاتيح الغيب من امهات كتب
التفسير التي يجد فيه العلماء المتخصصون زاداً
طيباً وثروة طائلة من العلم مزدهرة بشتى فروع
العلم والمعرفة، وصفه ابن خلكان بقوله : « انه آى
الفخر جمع فيه كل غريب وغريبة » .

فالكتاب موسوعة علمية جامعة فنجد فيه
اهتماماً بالغاً ببيان المناسبات بين آيات القرآن
وسوره وقد يذكر عدة أوجه للمناسبة والربط
بين الآيتين أو السورتين وتجد فيه من المسائل
النحوية واللغوية والاستشهادات ما يوضح منهم
الآيات البيّنات ولن يخلو من الأبحاث البلاغية
وتحليلها ، ويمتاز تفسيره بذكر الاحكام الفقهية
عامة في آيات الاحكام على اختلاف المذاهب مما
يدل على سعة علمه ودراسته للمذاهب الفقهية
مع تدعيم مذهب الشافعى الذى يتمذهب به
يؤيده بالأدلة والبراهين ويرجحه ويقويه ، وكما
يتحدث عن الفقه يتحدث عن أصول الفقه ، واما في
مسائل العقيدة وفروع علم الكلام فتجد أبحاثاً
ضافية في كل مناسبة يقرر مذهب أهل السنة
ويرد على مذهب الاعتزال لأنه مذهب أهل السنة
والجماعة .

ولقد عاب عليه الحافظ ابن حجر أنه قبل

رده يقرر شبهة المعتز له وقد يقصر في حقها .
بقول الحافظ بن حجر في لسان الميزان :

« وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر
في حلها حتى قال بعض المغاربة : يورد الشبهة
نقداً ويحلها نسيئة »

والواقع أن تقرير بمذهب الخصم تقرير
منتصف يدل على قوة الحجة وادعى الى الاقتناع
وقد بلغ الفخر في ذلك مبلغاً عظيماً فقد صرح في
مقدمة نهاية القول أنه مقرر مذهب خصمه تقريراً
لو أراد خصمه تقريره لم يقدر على الزيادة على
ذلك » .

والدارس للتفسير الكبير يستطيع أن يلم
بكثير من علوم القرآن الكريم في افاضة ودقة فهو
يتحدث عن الآيات المكية والمدنية . وعن أوجه
القراءات - وعن اعجاز القرآن - ومعنى فواتح
السور وأسماء القرآن الكريم والوحي والنسخ
 وغير ذلك ويذكر الفخر آراء المفسرين السابقين
 خاصة صاحب الكشاف ويذكر آراء الصحابة
 والتابعين وينقل كثيراً عن الامام الغزالي ولكنه
 له شخصيته القوية يناقش ويرجح ويجتهد ويذكر
 رأيه فهو مفسر بالمأثور ومفسر بالرأى ، وشخصيته
 واضحة في تفسيره ثم هو فيلسوف ورياضى
 ينقل آراء الفلاسفة الاسلاميين وحكماء اليونان
 ويرد رأيهم اذا خالف مذهب أهل السنة والجماعة
 ولكثرة علمه وغزارته اشتمل الكتاب على
 استطرادات كثيرة لمناسبة قوية أو غير قوية وقد
 عابوا عليه كثرة استطراداته وتشعبها . قال
 صاحب كشف الظنون :

« ان الامام فخر الدين الرازي ملأ تفسيره
 بأحوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء الى
 شيء حتى يقضى الناظر العجب » .

أسباب النزول :

وتقرير هذا من وجوه :

ومن الأمور التي اهتم بها الرازي في تفسيره ذكر أسباب النزول وربما ذكر عدة أسباب ثم يرجح بعضها أو يستنتج برأيه ما يراه متفقاً مع النسق القرآني .

فيذكر في سبب النزول :

قل من كان عدوا جبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدي وبشرى للمؤمنين . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين .

يقول : (١) اعلم أن هذا النوع أيضا من أنواع قبائح اليهود ومنكرات أقوالهم وأفعالهم وفيه مسائل :

المسألة الأولى : أن قوله تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل » لا بد له من سبب وأمر قد ظهر من اليهود حتى يأمره تعالى بأن يخاطبهم بذلك لأنه يجري مجرى الحاجة فإذا لم يثبت منهم في ذلك أمر لا يجوز أن يأمره الله تعالى بذلك ، والمفسرون ذكروا أمورا ، وذكر ثلاث روايات منها ما هو مسند ومنها ما هو غير مسند ثم ذكر رأيه المستنبط من سياق الآيات ودلالاتها بقوله : واعلم أن الاقرب أن يكون سبب عداوتهم له أنه كان ينزل القرآن على محمد عليه السلام لأن قوله : « من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله » مشعر بأن هذا التنزيل « لا ينبغي أن يكون سببا للعداوة لأنه انما فعل ذلك بأمر الله فلا ينبغي أن يكون سببا للعداوة » .

أولها : أن الذي نزه جبريل من القرآن بشاراة المطيعين بالثواب وانذار العصاة بالعقاب والأمر بالمحاربة والمقاتلة لما لم يكن ذلك باختياره بل بأمر الله الذي يعترفون أنه لا محيص عن أمره ولا سبيل الى مخالفته فعداوة من هذا سبيله توجب عداوة الله ، وعداوة الله كفر ، فيلزم أن أن عداوة من هذا سبيله كفر

وثانيها : أن الله تعالى لو أمر ميكائيل بانزال مثل هذا الكتاب فاما أن يقال انه كان يتمرد أويأبى عن قبول أمر الله وذلك غير لائق بالملائكة المصومين أو كان يقبله ويأبى به على وفق أمر الله فحيثئذ يتوجه على ميكائيل ما ذكره على جبريل عليه السلام فما الوجه في تخصيص جبريل بالعداوة .

وثالثها : أن انزال القرآن على محمد كما شق على اليهود فانزال التوراة على موسى شق على قوم آخرين . فان اقتضت نفرة بعض الناس لانزال القرآن قبحه فلتقتض نفرة أولئك المتقدمين انزال التوراة على موسى عليه السلام قبحه ، ومعلوم أن كل ذلك باطل فثبت بهذه الوجوه فساد ما قالوه .

فترى أنه يذكر أسباب النزول وآراء المفسرين والرواة ولكنه له شخصيته القوية فيعارض ويذكر رأيه ويدلل عليه مما يجعل رأي الثقاتين بأنه تفسير بالرأي على صواب الى حد كبير .

الاستطرادات في تفسيره :

ويتسم تفسير الامام الرازي بالاستطرادات

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ٢١٦ المطبعة البهية

والصلاة معراج العارفين الى غير ذلك من أبحاث لغوية وفلسفية ذكرها في تفسير سورة الفاتحة وهكذا نجد أنه لغزارة علمه يستطرد في الحديث فيمكن للباحث أن يستخلص من كتابه مسائل هامة في النحو والصرف والعقيدة والبلاغة والتصوف والفلسفة . فالكتاب مرجع للعلماء المتخصصين يجدون فيه وفي مسائله المتفرعة كل ما يمكن أن يطلب معرفته وان كان يصعب على المبتدئ أن يستخلص المعنى من خضمه الزاخر . والرازي حينما يتحدث عن موضوع يوفيه حقه كأنه بحث مستقل بذاته فمثلا في قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها ... الآية » (١) يبين أن اللغات لها توفيقية ثم يبين المراد من تعليم آدم الأسماء ثم يتحدث عن نبوة آدم ثم عن فضل العلم والشواهد العقلية في فضيلة العلم وحد العلم والألفاظ المرادفة للعلم وهكذا ..

وفي تفسير قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها .. الآية » (٢) يتحدث عن معنى النسخ في أصل اللغة - ثم عن القراءات الواردة في « ما ننسخ » ثم عن النسخ في اصطلاح العلماء ثم جواز النسخ عقلا ثم وقوع النسخ في القرآن ثم نسخ الحكم أو التلاوة ثم اختلاف المفسرين في النسخ وجواز النسخ وكيفيته وعدم نسخ الكتاب بالسنة .

وهكذا يشبع الموضوع بحثا متكاملا مما جعل تفسيره مرجعا للعلماء المتخصصين يروى ظمأهم ويحقق أملهم •

نماذج من تفسير الفخر الرازي

وأنفريعات وحسبك دليلا على ذلك انه فسر فاتحة الكتاب في ٢٨٩ صفحة بالقطع الكبير ويقول في بدء تفسيره في التنبيه على علوم سورة الفاتحة . اعلم انه مرّ على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن ان يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة فاستبعد هذا بعض الحساد ، وقوم من أهل الجهل والعناد ، وحملوا ذلك على ما القوه من أنفسهم من اتصالات انفارعة عن المعاني ، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاهد والمباني ، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب ، ندمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه .

وتراه يذكر من أبحاث تفسير سورة الكتاب مستطردا الأبحاث التالية - معنى الكلام اللساني والنفسى والذهنى - طرق معرفة اللغة - كيفية حدوث الصوت - حدّ الحرف وحروف المد واللين - حدوث الكلام - قدم كلام الله وخلاف الحشوية والأشعرية في صفة القرآن - المباحث المتعلقة بالاسم والفعل والحرف - أنواع الجمل - تقسيم الاسم الى معرب ومبنى - المنع من الصرف - حكم القراءة بالشواذ وأن الصلاة لا تجوز بالقراءة الشاذة - مباحث الاسم العقلية والنقلية واسم الله الأعظم - فضائل سورة الفاتحة - الاسرار المستنبطة من الفاتحة - المسائل الفقهية المستنبطة من الفاتحة . ويذكر فيها المذاهب الفقهية ويرجع مذهب الشافعي - ذكر أن آيات الفاتحة سبع والأعمال المحسوسة في الصلاة أيضا سبعة وهى : القيام والركوع والانتصاب والسجود الأول والانتصاب فيه والسجود الثانى والقعدة فيه قصار عدد آيات الفاتحة مساويا لعدد هذه الاعمال فصارت هذه الأعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح • ثم ذكر فصلا ضافيا عليه مسحة التصوف في أن

(١) تفسير الرازي ج ٢ ص ١٧٥ المطبعة البهية .

(٢) تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٥١ المطبعة البهية .

قال تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون »

(١) القول فى اقامة الدلالة على التوحيد والنبوة والمعاد .

أما التوحيد فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم ..

اعلم أن فى هذه الآيات مسائل - (المسألة الأولى) ان الله تعالى لما قدم احكام الفرق الثلاث أغنى المؤمنين والكافرين والمنافقين . أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الالتفات وفيه فوائد أحدها أن فيه مزيد هز وتحريك من السامع .

(المسألة الثانية) . حكى عن علقمة والحسن أنهما قالوا كل شىء فى القرآن (يا أيها الناس) فانه مكى، وما كان (يا أيها الذين آمنوا) فبالمدنية قال القاضى هذا الذى ذكروه ان كان الرجوع فيه الى النقل فمسلم وان كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدنية على الكثرة دون مكة فهذا ضعيف، لأنه يجوز أن يخاطب المؤمنين مرة بصفتهم ومرة باسم جنسهم وقد يأمر من ليس بمؤمن بالعبادة كما يأمر المؤمن بالاستمرار على العبادة والازدياد فيها فالخطاب فى الجميع ممكن .

(المسألة الثالثة) اعلم أن الألفاظ فى الأغلب عبارات دالة على أمور هى : اما الألفاظ فهى كالاسم والفعل والحرف فان هذه الألفاظ الثلاثة يدل كل واحد منها على شىء هو فى نفسه لفظ مخصوص ..

(١) مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير للفخر الرازى

ج ٢ ص ٨٢ .

(المسألة الرابعة) « ياء » حرف وضع فى أصله لنداء البعيد وان كان لنداء القريب لكن لسبب أمر مهم جدا ..

(المسألة السادسة) ، اعلم أن قوله (يا أيها الناس الألف واللام) ...

(المسألة السادسة) ، اعلم أن قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، يقتضى ان الله تعالى امر كل الناس بالعبادة فلو خرج البعض عن هذا الخطاب لكن ذلك تخصيصا للعموم وهنا أبحاث (البحث الأول).

ان لفظ الجمع المعروف بلام التعريف يفيد العموم والخلاف فيه مع الأشعرى والقاضى أبى بكر وأبى هاشم ، لنا انه يصح تأكيده بما يفيد العموم كقوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) ولو لم يكن اللفظ فى أصله للعموم لما كان قوله (كلهم)

تأكيدا بل بيانا ... (البحث الثانى) : لما ثبت أن قوله تعالى (يا أيها الناس) يتناول جميع الناس الذين كانوا موجودين فى ذلك العصر فهل يتناول الذين سيوجدون بعد ذلك أم لا ؟ والأقرب انه لا يتناولهم لأن قوله (يا أيها الناس) خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدم لا يجوز . وأيضا فالذين سيوجدون بعد ذلك ما كانوا موجودين فى تلك الحالة وما لا يكون موجودا لا يكون انسانا وما لا يكون انسانا لا يدخل تحت قوله (يا أيها الناس) فان قيل فوجب أن لا يتناول شىء من هذه الخطابات الذين وجدوا بعد ذلك الزمان وأنه باطل قطعاً . قلنا : لولم يوجد دليل منفصل لكان الأمر كذلك الا أننا عرفنا بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان تلك الخطابات ثابتة فى حق من سيوجد بعد ذلك الى قيام الساعة فلهذه الدلالة المنفصلة حكمنا بالعموم (البحث

الثالث) قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) أمر للكل بالعبادة فهل يفيد أمر الكل بكل عبادة الحق لا ، لأن قوله اعبدوا معناه ادخلوا هذه الماهية في الوجود فإذا أتوا بفرد من أفراد الماهية في الوجود فقد ادخلوا الماهية في الوجود لأن الفرد من أفراد الماهية مشتمل على الماهية لأن هذه العبادة عبارة عن العبادة مع قيد كونها هذه ومتى وجد المركب فقد وجد قيدها فالآتي يفرد من أفراد العبادة آت بالعبادة والآتي بالعبادة آت بتمام ما اقتضاه قوله (اعبدوا) ...

(البحث الرابع) أن قوله (يا أيها الناس اعبدوا) لا يتناول الكفار البتة لأن الكفار لا يمكن أن يكونوا مأمورين بالإيمان . وإذا امتنع ذلك امتنع أن يكونوا مأمورين بالعبادة ..

فصح تفسير قوله اعبدوا بالزيادة في العبادة . (البحث الخامس) في منكرى التكليف والرد عليهم .. (البحث السادس) قالوا الأمر بالعبادة وإن كان عاما لكل الناس لكنه مخصوص في حق من لا يفهم كالصبي والمجنون والغافل والناس وفي حق من لا يقدر لقوله تعالى ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ومنهم من قال انه مخصوص في حق العبيد لأن الله تعالى أوجب عليهم طاعة مواليتهم واشتغالهم بطاعة المولى يمنعهم عن الاشتغال بالعبادة . والأمر الدال على ذلك وجوب طاعة أخص من الأمر الدال على وجوب العبادة والخاص يقدم على العام والكلام في هذا المعنى مذكور في أصول الفقه (المسألة السابعة) قال القاضي الآية تدل على أن سبب وجود العبادة ما بينه من خلقه لنا والانعام علينا ..

وهكذا نجد استفاضة في البحث وتقسيم

البحث الى مسائل والتعرض للمناسبة بين الآيات والأبحاث الكلامية في العقيدة والأبحاث اللغوية والنقل بالمأثور عن الغير وفرض أسئلة والجواب عليها وتدعيم رأيه والتعرض للأصول والفلسفة ولو لم نختصر لطال بنا المقام بذكر صفحات كثيرة في تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)

النص الثاني

قوله تعالى (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) اعلم ^(١) ان هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم والمروى عن ابن عباس رضي الله عنه أن منافقي أهل الكتاب كانوا اذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آتتم به ونشهد ان صاحبكم صادق وأن قوله حق ونجده بنعته وصفته في كتابنا ثم اذا خلا بعضهم الى بعض قال الرؤساء لهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم في كتابه من نعته وصفته ليحاجوكم به فان المخالف اذا اعترف بصحة التوراة واعترف بشهادة التوراة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا حجة أقوى من ذلك فلا جرم كان بعضهم يمنع بعضا من الاعتراف بذلك عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

قال القفال قوله (فتح الله عليكم) مأخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا أى رزق

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ١٥٢ المطبعة البهية.

ذلك وسهل له طلبه أما قوله (عند ربكم) ففيه وجوه أحدها : أنهم جعلوا محتاجهم به وقوله هو في كتابكم هكذا محتاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد . وثانيها قال الحسن أى ليحاجوكم فى ربكم لأن المحتاجة فيما الزم الله تعالى من اتباع الرسل تصح أن توصف بأنها محتاجة فيه لأنها محتاجة فى دينه . وثالثا قال الأصم المراد يحاجوكم يوم القيامة وعند التساؤل فيكون ذلك زائدا فى توبيخكم وظهور فضيحتكم على رموس الخلاق فى الموقف لأنه ليس من اعترف بالحق ثم كتم كمن ثبت على الانكار فكان القوم يعتقدون أن ظهور ذلك مما يزيد فى انكشاف فضيحتهم فى الآخرة . ورابعها : قال القاضى أبو بكر : ان المحتج بالشئ قد يحتج ويكون غرضه من اظهار تلك الحجة حصول السرور بسبب غلبة الخصم وقد يكون غرضه منه الديانة والنصيحة فقط ليقطع عذر خصمه ويقرر حجة الله عليه فقال القوم عند الخلوة قد حدثتموه بما فتح الله عليكم من حجتهم فى التوراة فصاروا يتمكنون من الاحتجاج به على وجه الديانة والنصيحة لأن من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه قد أوجبت عليك

عند الله وأقمت عليك الحجة بينى وبين ربى فان قبلت أحسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب . وخامسها قال القفال يقال فلان عندى عالم ائى فى اعتقادى وحكمى وهذا عند الشافعى حلال وعند أبى حنيفة حرام أى فى حكمهما . وقوله (ليحاجوكم به عند ربكم) أى لتصيروا محجوجين بتلك الدلائل فى حكم الله . . . أما قوله (أفلا تعقلون) ففيه وجوه أحدها أنه يرجع الى المؤمنين فكأنه تعالى قال أفلا تعقلون لما ذكرته لكم من صفتهم ان الأمر لا مطمع لكم فى ايمانهم وهو قول الحسن . وثانيها انه راجع اليهم فكان عندما خلا بعضهم قالوا لهم أتحدثونهم بما يرجع وباله عليكم وتصيرون محجوجين به أفلا تعقلون أن ذلك لا يليق بما أتم عليه وهذا الوجه أظهر لأنه من تمام الحكاية عنهم فلا وجه لصرفه الى غيرهم .

وهكذا نجد أن الفخر الرازى ينقل آراء المفسرين والتابعين والفقهاء ويرجح بعضها على البعض بما يظهر شخصيته القوية فرضى الله عنه ونفعنا بعلمه .

الدكتور

الحسينى عبد المجيد هاشم